بقلم :
إسماعيل الموساوي
كاتب وباحث مغربي

رصد المشكلة:

لا نستطيع أن نبني درساً تعليميّاً من دون أمثلة شارحة، إنَّ للمثال أهميّة كبيرة داخل الممارسة الفصليّة، كيف لا وهو الملتجَأ الوحيد للأستاذ لإيصال أفكاره إلى ذهن المتعلّم بسهولة ويسر، وهو في الوقت نفسه الباعث الأوّل على الفهم وتحصيل المعلومة بالنسبة إلى المتعلم؛ إذ بالمثال الشارح المبتكر يُجلى غموض الفكرة ويُثرى الموقف التعليمي ويتحصّل المعنى ويُنفض غبار الغموض والإبهام عن الأفكار، ولكن بالرغم من أهميّة المثال الشارح داخل الممارسة الفصليّة، إلّا أنَّه يطرح زمرة من المشاكل والتحدّيات داخل خصوصيّة الدرس الفلسفي.

إنَّ أيّ مشتغل على المثال داخل الدرس الفلسفي بغية إيصال الأفكار الفلسفيّة بسهولة ويسر إلى المتعلم، سيتبيّن له بجلاء أنَّ هناك مشكلة ترتبط بمسألة عدم تمييز المتعلمين بين المثال الذي يُراد من توظيفه شرح طابع الأفكار الفلسفيّة المجرّدة وتسهيلها لهم، وبين الفكرة الفلسفيّة ذات الطابع الشمولي والمجرّد، هذا فيما يخصّ المشاكل التي يطرحها المثال الشارح بالنسبة إلى المتعلمين، بل لا يتوقف الأمر عند هذا الحدّ وعند المتعلمين، وإنَّما يطرح نفسه بقوّة على مدرّس التفكير الفلسفي نفسه، إذ ليس بإمكان كلّ واقعة وفكرة فلسفيّة أن تتحوّل إلى مثال شارح، حيث لا يكون المثال في هذه الحالة في علاقة وطيدة بالفكرة وبالمفهوم الفلسفي النظري المجرّد.

يستفاد إذن، أنَّ استخدام المثال الشارح في تعليم التفلسف ضرورة ملحّة لتحقيق أهداف تعليم الفلسفة للمتعلمين بكافّة مستوياتهم، سواء الجذوع المشتركة أو الأولى والثانية باكالوريا، فهو الوسيلة المعينة في تدريس الفلسفة ذات الطابع غير المحسوس، وكثيرة هي مسائلها التي تتّسم بالتجريد والمثاليّة، فكيف نقرّبها إلى أذهان التلاميذ بدون تشويه؟ وكيف يفهم المتعلّمون هذه الأمثلة (يعني الأسباب التي تؤدّي بالمتعلمين إلى عدم تمثل الغرض من توظيف المثال الشارح في الفلسفة)؟ وكيف ننتقي الأمثلة الجيّدة التي تخدم غرض أفكار الفلسفة؟ وبأيّة طريقة يجب استخدام المثال الشارح في تعليم التفلسف (الحلول المقترحة في توظيف المثال الشارح توظيفاً جيّداً)؟

قبل الشروع في تشخيص مشكلتنا التربويّة من حيث أسبابها وحلولها، لا بدّ من معرفة المقصود من المثال الشارح وأهميّته في تعليم التفلسف.

أوّلاً: المثال الشارح تعريفه وأهمّيته داخل الدرس الفلسفي

تعريفه:

يعرّف محمّد سعيد أحمد زيدان المثال الشارح في كتابه «المثال الشارح» بأنَّه «خاصيّة إنسانيّة؛ ويكفي أن ننظر إلى الناس في الحياة اليوميّة الجارية لنراهم كيف يعزّزون ويؤيّدون ما يتوصّلون إليه من معارف كثيرة أو يقرّرونه من حقائق بالأمثلة الشارحة... بالطريقة المشهورة «بالمثال يتّضح المقال» ... «وعلى رأي المثل»، نراهم لا يكفّون عن ذكر الأمثلة من مختلف المواقف الحياتيّة؛ معنى ذلك أنَّ المثال ليس خاصّاً يُعزى إلى المعلّمين التربويين وحدهم...وهو المثال الذي نبحث عن مدى أهمّيته وأنواعه وكيفيّة استخدامه في تعليم التفلسف بالمدارس الثانويّة العامّة».[١]

نفهم من تعريف محمّد سعيد أحمد زيدان أنَّ المثال خاصيّة إنسانيّة؛ فالناس دائماً يوظّفون الأمثلة في حياتهم اليوميّة من أجل شرح مواقفهم وآرائهم، فالمثال ليس حكراً فقط عن العمليّة التعليميّة التعلّميّة، وإنَّما يتجاوز هذا الأمر ليشمل مختلف مناحي الحياة الإنسانيّة، ويعني كذلك المثال في «المعجم الوجيز» «صورة الشيء الذي تمثل صفاته، ج أمثلة، ومُثل».[٢] إنَّ الغاية من الأمثال هي تقريب

١ـ محمّد سعيد أحمد زيدان، المثال الشارح، مدخل لتعليم التفلسف، السفير للإعلام والنشر، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٠

٢ـ مجمع اللغة العربيّة: المعجم الوجيز، القاهرة، وزارة التربية والتعليم، ١٩٩٠، ص ٥٧٢